دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	اللغة العربية والتداخل اللغوي
المصدر:	حوليات كلية اللغة العربية بمراكش - المغرب
المؤلف الرئيسي:	الأيوبي، سعيد
المجلد/العدد:	ع 5
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1995
الصفحات:	277 - 288
رقم MD:	221279
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	اللغة الفرنسية، اللغة العربية، القرآن الكريم، التداخل اللغوي، التعريب، الصحافة، عالمية اللغة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/221279

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

اللغة العربية والتداخل اللغوي

د. سعيد الأيوبي
كلية الآداب-مكناس

لقد اتفق العرب على أن القرآن رأسُ مصادر العربية، إنه من أنصعها وأوثقها وأنقاها، لذلك فإن المشركين لم يتجادلوا في شيء يتصل بلغته، وإن اختلفوا فيه ككتاب دين «فقد اجتمعوا مغلوبين أمام إعجازه، نزل على قوم مهارتهم في أشداقهم فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، فأرهفوا له السمع وودوا لو استطاعوا مغالبته، ثم استسلموا ضعافا، فما هو بالشعر الذي ألفوه ولا السحر الذي عرفوه، ولا الكهانة التي انقادوا لها »(1).

وكان النفر من كفار قريش إذا اجتمعوا حَزَموا أمرهم على ألا يسمعوه، حتى إذا تفرقوا نازعتهم أنفسهم الى سماعه، فكانوا يتسللون خُفية، فإذا انكشفوا تلاوموا وأقسموا ألا يعودوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية، عادوا يتسترون في جنح الليل ليسمعوا محمداً (صلعم)، إنهم لم يملكوا أنفسهم أمام هذه الفتنة اللغوية الجديدة.

والحق إن القرآن الى جانب كونه ثورة اجتماعية ودينية كان زوبعة تاثرة زعزع المعايير الأسلوبية للغة العربية الجاهلية التي كانت تمثلها القصيدة المكتملة فنيا ولغويا وبلاغياً. ولقد اجتهد البيانيون في محاولة استخراج الجديد اللغوي الذي جاء به القرآن وتفانوا في تبريره وشرحه والدفاع عنه، فكان من ذلك مثلا : "مجاز القرآن" لأبي عبيدة، "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، "اعجاز القرآن" للباقلاني.

وهي مؤلفات تعتبر محاولات للإحتجاج لأسلوب القرآن، سواء للدفاع عنه أو للتوفيق بينه وبين اللغة العربية الجاهلية، الأمر الذي يشهد بأن القرآن كان عدولاً واضحاً عن أسلوب القصيدة.

ويبدو أن القرآن قد استعمل عمداً مصطلحات فنيةً جديدة للتعبير عن أهم عناصره

(1) د. عبد الحميد الشلقاني : مصادر اللغة، ص 3 .

عدل بها عن الألفاظ والمصطلحات في لغة القصيدة ليحدث مقابلة لغوية مقصودة بينه وبين الشعر من خلال الأمثلة الآتية(2).

القرآن ← الشعر
الحزب ← الديوان
السورة ← القصيدة
الآية ← البيت
الفاصلة ← القافية
الاعجاز ← الفصاحة
التضمين ← البلاغة

ولقد تنبه الجاحظ حسبما رواه السيوطي الى تلك المقابلة من دون أن يفسرها تفسيراً واضحاً ودون أن يبررها اجتماعياً ولغوياً، فلقد ذكر : «قال الجاحظ سَمَّى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمى به العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمى جملته قرآناً كما سموا ديواناً، وبعضَه سورة كقصيدة وبعضَها آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية»(3).

ولم يكتف القرآن بهذه الألفاظ والمصطلحات فقط بل راح يستعير من غير العربية ألفاظاً ومصطلحات، وتولى مهمة الدفاع عن هذا الاستعمال الشرعي الذي عرف في القديم بـ"المعرب والدخيل" وفي الحديث بـ "التداخل اللغوي" ؛ من يستطيع أن ينكر على القرآن استعماله الكلمات الفارسية الأصل : كأباريق، وسجيل، واستبرق. والرومية كقسطاس، وصراط، وشيطان، وإبليس، والحبشية كأرائك، ودُرِّي، وكفلين (نصيبين). والسريانية كسرادق، ويَمّ، وطُور، وربَّانيّين. والعبرانية : فوماً. والتركية القديمة : غَسَّاقاً. والهندية : مشكاةً، والقبطية : هيت لك.

ويقول عبد القادر المغربي في كتابه "الاشتقاق والتعريب" أن كلمة مصحف التي سُمّيَ بها القرآن الكريم معربة من اللغة الحبشية وهي مشتقة من صَحَفَ ومعناها في الحبشية كت. وكلمة القاموس التي أطلقها الفيرُوزبادي على معجمه هي أعجمية معربة ومعناها البحر أو

(2) انظر : محمد رشاد الحمزاوي : العربية والحداثة، ص 141-159
(3) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن، ج 1 ص 50 .

معظم مائه.

وقد أخرج ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قوله (صلعم) : "في القرآن من كل لسان"(4).

وكان ابن عباس أولَ من استعمل مصطلح "الغريب" للتعبير عن المعرب والدخيل في القرآن، وحاول ارجاع كل لفظة أو مصطلح أو اسم الى اللغة المستعار منها فبين أن "مسطوراً" حميرية، "وربيون" حضرمية، "واشمأزت" من لغة الأوس، "وحبواً" حبشية، "وطه" نبطية،"وأعناب" سريانية، "وهيت لك" قبطية(5).

وهذا يدلنا على وجود لغة مستعارة في القرآن لتملأ حسب اللغويين المعاصرين "الفراغات اللغوية العربية بألفاظ حضارية وعقائدية جديدة وضعت لتعبر نوعاً ما عن صلات الجزيرة العربية بمحيطها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي"(6).

ولقد بدأ علماء العربية في العصور الأولى من الاسلام يختلفون في مدى خُلوص عربية القرآن، فتناول المسألة أبو عبيد القاسم بن سلام وأشار الى مدى الاختلاف الحاصل بين الناس، فذكر عن ابن عباس ومجاهد وابن جرير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم إنهم قالوا في أحرف كثيرة إنها بلغات العجم -ثم أورد بعض الأمثلة التي مرت بنا- قال : فهذا قول أهل العلم من الفقهاء.

وأشار الى فريق آخر يرى أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء، يتأولون قوله تعالى : "إنا جعلناه قرآنا عربيا" وقوله :"بلسان عربي مبين"، قال أبو عبيد : والصواب من ذلك عندي تصديق القولين جميعاً وذلك ان هذه الحروف وأصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا انها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها من ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب كمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال أعجمية فهو صادق(7).

---

(4) محمد العدناني : معجم الأخطاء المعارة، مكتبة لبنان، ط 1 / 1984، ص : ي
(5) الاتقان، ص 139.
(6) العربية والحداثة، ص 144.
(7) السيوطي : المزهر، ط. الحلبي، ج 1، ص 218 .

ويرى الطبري في مؤلفه جامع البيان عن تأويل آي القرآن(8) أن تلك الألفاظ المستعارة عربية وأعجمية "إذ كانت الأمتان له مستعملتين في بيانها ومنطقها استعمال سائر منطقها وبيانها"، ولإيمان الطبري بمبدإ تداخل اللغات بين العربية والفارسية وغيرهما فإنه يصرح في وضوح لا لبس فيه بانعدام لغة مدينة للغة أخرى.

ويفيدنا السيوطي في المزهر(9) وفي "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" (10) برأيه اللغوي في قضية التداخل الأسلوبي، فيقول : إن الدخيل والمعرب موجود باللغة العربية كلها بما في ذلك مظهرها العادي أو الديني.

ومن المسلم به أن العرب أخذوا أهبتهم وراحوا يضربون حول العربية سياجاً يقيها عادية الألسُن الغريبَة فكان الأمويون يرسلون أبناءهم الى البادية ليفْصُحوا، وكان الأصمعي يقول : ثلاثة تحكم لهم بالمروءة حتى يعرفوا : رجل رأيته راكبا، أو سمعته يُعرب، أو شممت منه رائحة طيبة، وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا : رجل شممت منه رائحة خمر في محفل، أو سمعته يتكلم في بلد عربي بالفارسية، أو رأيته على ظهر الطريق ينازع في القدر(11).

ولم يُجْد هذا السياج شيئا اذ كان مخالفاً لطبيعة اللغات فلم يدفع عنها دخيلاً جاءها من الشعوب التي تعاملت معها. ويذكر برجستراسر Bergestrasser في كتابه "التطور النحوي للغة العربية" كثيراً من الكلمات التي تأثرت بها العربية من اللغات الأخرى قبل الاسلام أو في طوره إما تظرفا أو لتخفيف الجهد أو لحاجة الى ألفاظ لا تستطيع العربية الوفاء بها، ونحن نكتفي بإيراد البعض منها، من اصطلاحات الإدارة : كالديوان والرزق والمرزبان والدهقان والفرسخ والتاج، ومن الألفاظ الدينية : الدين، الجناح، المجوس، النيروز، ومن الأسماء : الصنج، الصولجان، الفيل، الجاموس.

(8) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 1، ص 8-11.
(9) المزهر، ج 1، ص 269-270.
(10) ذكره السيوطي في الاتقان، ج 1 / 135، ويبدو أنه فُقد، وقد حققه ونشره عبد الله الجبوري بمجلة المورد العراقية، ج 1، سنة 1971.
(11) ابن قتيبة : عيون الأخبار، 1 / 296.

وكثير من هذا الدخيل تعرب ككلمة "جناح" أصلها (كناه) فيقابل الكاف في الفارسية الجيم العربية.

ثم ذكر الكلمات الحبشية كالحواريون، ونافق، ومنافقون، وفطر، ومنبر، ومحراب، ومصحف، وبرهان. ومن الكلمات التي دخلت من الآرامية أسماء النبات كالرمان، ومنها أيضاً الخمر والكبريت والمرجان والبلور والباب والقفل والزجاج والكيس والسكين(12) والسيف والخاتم والسلطان والأمة والعالم والمدينة والسوق والقسط والسبيل والساعة(13)...الخ.

وحتى رجال الفقه حينما لم يسعفهم ذلك الاتساع الاصطلاحي الذي أعطوه للغة للتعبير عن مدلولات جديدة، اضطروا الى التعريب أو إدخال الكلمات كما هي، عندما يعرض لهم مسمى ولا عهد للعرب به، فقالوا :

السفتجة : وهو لفظ فارسي والمراد به أن تقرض إنساناً مالاً ليسلمه المقترض في بلد آخر الى إنسان يريد المقرض توصيله اليه، وغرضه منه أن يأمن خطر الطريق، ولذلك جعله قرضاً لا أمانة، وتصرفوا فيه فجمعوه وقالوا : (كرهت سفاتج الطريق).

السكة والكودار : ومعناهما ما يقوم به الزارع من حرث وتهيئة للأرض مما يكسبه أولوية زرعها.

الكدك : وهو ما يحدثه التاجر في حانوته من العمران والبناء فيعطيه هذا حق أولوية استئجاره.

الخلو والرصد : قالوا عن الأول ما يدفعه المستأجر الى متولي الوقف من مال ليصرفه في مصلحة الوقف، والرصد : دين للمستأجر على الوقف لصرفه في عمارته بإذن المتولي وهكذا يتضح أن المعرب والدخيل طال اللغة العربية في جميع مظاهرها، وهو كل ما انسرب اليها من لغة أخرى مجاورة أو مباعدة أو وراثة، وهذا أمر ثابت فيها، قال امرؤ القيس :

ودويّةٍ قفرٍ تمشّى نعاجُها كمشي النصارى في خفاف الأرندج

(12) ظلت كلمة السكين غير معروفة عند الأزد حتى بعد ظهور الاسلام بالرغم من ورودها في القرآن، انظر : اللسان، مادة : س.ك.ن.

(13) Bergestrasser : التطور النحوي ص 149.

والأرندج كلمة فارسية وهي اسم لضرب من الجلد أسود اللون. قال الأعشي :

أرندجُ إسْكاف يخالط عِظْلِماً

ولقد سعى الخليل بن أحمد (ت 778م) في مقدمة كتاب العين في إطار الضوابط لمعرفة الدخيل الى تعريف الدخيل تعريفاً لغويا علميا باعتبار مظهره الصوتي فقال : «إذا وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة أو شفوية وهي (ب.ر.ف.ل.م.ن) فاعلم أنها محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب، لأنك لستَ واجداً من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذُّلق والشفوية واحدٌ أو اثنان أو أكثر»(14).

غير أن هذا ليس بمطرد دائماً في الرباعي والخماسي وان كثرت فيهما الكلمات المحدثة والمبتدعة لطول مقاطعهما، كما أنه لم يمنع أن يرد الرباعي والخماسي فيهما حروف ذلق وشفاه وهي ليست من أصل عربي وهو في القرآن كثير :

"ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس"(15) قرطاس.

"إن هذا إلا أساطير الأولين" أساطير. "المؤمنون" آية 83.

"هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون"(16) الأرائك.

أما الجواليقي فقد أورد في "المُعَرَّب" في باب "ما يعرف من المعرب بائتلاف الحروف" قوله :"لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنها معربة". لا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية من ذلك الجصّ، والصنجةُ، والصولجان، وغير ذلك. ليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء فاذا مر بك ذلك فاعلم ان ذلك الاسم معرب كنرجس، ونرس، ونورج.

ليس في كلامهم زاي بعد دال الا دخيل، من ذلك : الهنداز، والمهندز، وأبدلوا الزاي سيناً فقالوا المهندس.

ولم يحك أحد من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل(17).

(14) كتاب العين، طبعة عبد الله درويش، بغداد : 67، ص 58

(15) سورة الأنعام / الآية 7.

(16) سورة يس / الآية 56.

(17) المعرب،تحقيق : الدكتور ف. عبد الرحيم، دار القلم-دمشق، ط 1 : 1990. ص 100

اللغة العربية والتداخل اللغوي في العصر الحديث

1- **الصحافة** : ولما كان موضوع التداخل اللغوي ظاهرة كونية تلتجئ اليه جميع اللغات كوسيلة من وسائل تنمية اللغة لملإ فراغها فيما يعترض تطورها العلمي والصناعي والحضاري والعسكري، فإن الصحافة العربية قد لعبت دوراً كبيراً في تطوير اللغة إن سلباً وإن إيجاباً، ذلك انها اعتمدت من القواعد والمعايير والتراكيب ما يختلف عن منقول اللغة وفصاحتها. يقول ابراهيم اليازجي في نقد لغة الصحافة : "لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذت عن منقول اللغة فأنزلت في غير منازلها أو استعملت في غير معناها فجاءت العبارة بها مشوهة، وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلا عما يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطإ"(18).

وأخذ على عاتقه مهمة تصويب الخطإ الصحفي بطريقة "لا تقل بل قل" وذلك على الصعيد الصرفي والنحوي والبلاغي والتركيبي والدلالي.

إلا أن هذه اللغة الصحفية شاعت واطردت حتى أصبحت تكون معجماً خاصاً جديداً لا صلة له بالمعجم القديم وألفاظه، وأصبحت كثير من ألفاظ الجرائد المستعملة الآن في غيرما وضعت له، لا تجوز كتب اللغة استعمالها إلا على ضعف وتكلف، ولكنها شاعت وذاعت حتى بين بلغاء الكتاب، وليس من السهل أن يستبدل بها كلمات أخرى، فمنها هذه الأسماء التي أصبحت دالة ومعبرة : "صادرات" و "واردات"، و "تهوية" البيوت وما فيها من الأثاث، و "تحليل" بمعناه العلمي، و "تشريح" بمعناه الطبي، و "تشريع"، و "تقنين"، و "مشروع"، و "إعدام"، و "محطة"، و "تقرير"، و "عمود"... الخ(19).

فالصحافة إذن ساهمت في تطوير العربية ومكنتها من الانتشار السريع والتداول المستمر وحولتها من لغة النخبة الى لغة الدهماء، لغة التفكير الصحفي والعلمي، تمت بأكثر من سبب الى المعاصرة والحداثة، ولعل لفظة الصحافة نفسها تفيد الخروج عن المألوف المطرد برغم ورودها في القرآن مرات عديدة بمعنى الكتب المنزلة المشتملة على كثير من الصحف والأوراق، قال تعالى : "فمن شاء ذكره في صحف مكرمة"(20) . "وإذا الصحف نشرت"(21).

---

(18) لغة الجرائد، ص 3.
(19) أسعد خليل داغر : تذكرة الكاتب، ص 26.
(20) سورة عبس / الآية : 12-13.
(21) سورة التكوير / الآية : 10.

"رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة" البينة (22). وفي قوله (صلعم) بصيغة المفرد المؤنث : "أتراني حاملا الى قومي كتاباً كصحيفة المتلمس".

وفي المصباح في غريب الشرح الكبير للرافعي : الصحيفة قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه، فإن نسب للصحف يقال الصَّحفي لا الصُّحفي لأن بعضهم يرى أن الاشتقاق من الجمع غير جائز فلا يقال صُحفي نسبة الى صحف، والصُّحفي من يخطئ في قراءة الصحيفة، والتصحيف الخطأ في الصحيفة يقال صَحَّفَهُ فتصَحَّفَ أي غيره فتغير حتى التبس المعنى. فالصحافة إذن تفيد اللحن والخروج عن القواعد المألوفة.

ومما لا مراء فيه أن الصحافة اهتمت بمختلف مجالات المعرفة العلمية والأدبية والسياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والرياضية، ولا شك أنه كان لكل هذه الأنواع من الصحف آثارها الاجتماعية ولغاتها ولهجاتها وأساليبها التي ستتجاوز الأسلوب العربي التقليدي لتقر أساليب عربية متنوعة(23).

ذلك أن اللغة في المصطلح الحديث "هي الرصيد المكنون في الأذهان والمعاجم والمتكونُ من كلمات واستعمالات مجمدة يَستمد منها الكلام مادته، لاسيما الحية منها يُخضعها للتأليفات اللفظية والسياقات النظمية الشخصية التي تشكل محور التعبير والتغيير والتطوير"(24).

فلو اقترنت اللغة الفصيحة بالكلام المعاصر لها (عامياً أو دخيلاً) لاتضحت قضية الاستعمالات الحديثة وتبلورت منزلة العامية والدخيل منها.

2- التداخل بين العربية والفرنسية في العصر الحديث :

إن التداخل اللغوي يشمل في مفهومه الواسع جميع المظاهر الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية، وهو غالباً ما ينشأ عن تلاقح بين لغتين كما هو الشأن بين العربية والفرنسية، إذ تسببت معطيات اقتصادية وسياسية وحضارية وفكرية وثقافية في أن تكون اللغة الفرنسية معيناً تمتح منه العربية، فدخلتها بطبيعة الحال كثير من الأساليب والألفاظ

(22) سورة البينة / الآية : 2.
(23) انظر : العربية والحداثة، ص 33 وما بعدها.
(24) نفسه، ص 27-28.

والمصطلحات الفرنسية.

ولقد تنبه ابراهيم اليازجي وهو أديب لبناني الى قضية التداخل الأسلوبي بين العربية والانجليزية والفرنسية، وأشار في مقال له(25) -"لغة الجرائد"- الى قضية المصطلحات والاستعمالات اللغوية الحديثة المختلفة التي كانت تنشرها الصحافة وتروجها، فقال: «إننا لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذت عن منقول اللغة فأنزلت في غير منزلها واستعملت في غير معناها...، وأصبح كثير من هذه الألفاظ لغة خاصة بالجرائد تقتضي معجماً بحاله...».

تبرز هذه المقالة دور الصحافة في تطوير العربية نحو توسيع الأساليب وخلق المفاهيم والمصطلحات ما دامت تتخيل مسؤولية نقل الأخبار وتبادلها العملي، إنها ترمي الى أن تحصر مهمتها في توفير المفاهيم التي تضمن بحيادها التطابق مع الواقع تطابقاً كلياً(26).

يبدو أن اللغة الفرنسية قد تركت أثرها الواضح في اللغة العربية (بشقيها العامي والفصيح) وذلك في أغلب الميادين، خاصة عند ثُنائيٍّ اللغة من العرب، إذ حافظوا على كثير من المصطلحات الفرنسية المعربة مثل Carbon, gramme, Dynama, Cinéma, Téléphone, Mécrophilme, Microphone ، كذا الشأن في أسماء الاعلام والمدن كباريس التي لا تلفظ بالراء بل بالغين التي تعبر عن علامة انتماء المتلفظين بها الى الطبقة البورجوازية أو الى زمرة المتشدقين، وكذلك الدار البيضاء ينطق بها Casablanca .

كما أثرت الفرنسية -لا سيما في شمال افريقيا- على طرق التلفظ والترخيم في الكلام بالعربية العامية، كما تركت الكلمات الفواتح الفرنسية أثرها في العربية الحديثة من ذلك (ص.ب) صندوق البريد المقابلة لـ Boite Postale (B.P) الفرنسية. و (تل) التلفون أو (ها) المقابلة لـ : Téléphone (Tél) الفرنسية. كما كثر استعمال هذه الكلمات الفواتح للتعبير عن أسماء الهيآت الوطنية والشركات التجارية والصناعية، والنقابات والجمعيات الرياضية وغيرها(27).

---

(25) نقلا عن العربية والحداثة، ص 174.
(26) نفسه، ص 174.
(27) انظر : العربية والحداثة، ص 176-177.

كما نلاحظ تأثير الفرنسية في عدم التمييز بين المذكر والمؤنث في المفردات التي تدل على الجنسين عند ثُنائيِّ اللغة من الصحافيين العرب، فقد أصبحت كلمة "زوج" التي كانت تطلق على المذكر والمؤنث تستعمل استعمالين "زوج" للمذكر و "زوجة" للمؤنث.

كذلك الشأن بالنسبة لعجوز انقسمت الى عجوز وعجوزة.

كما أسقط بعض المشاهير من الكتاب والصحفيين تطبيق المثنى في بعض كتاباتهم ومنهم يحي حقي الذي يستعمل (فتاةُ مزجحة الحواجب) بدل الحاجبين أو الحاجب، ونجيب محفوظ الذي يستعمل (على اسماعي).

كما تركت الفرنسية أثرها الواضح على مستوى نحت الألفاظ والتراكيب الدخيلة، وإن كان العرب قد عرفوا النحت إلا انهم لم يستعملوه استعمالاً مطرداً مثلما هو الشأن عندنا في الحديث. إذ كثرت الأساليب المنحوتة على غرار الفرنسية، من ذلك : قَبْتاريخي (قبل وتاريخ) ليقابل Préhistorique ، قَرْوَسْطي (قرن ووسط) ليقابل moyen ageux ، كَهْرَجَابي (كهرباء وإيجابي) ليقابل électro-positif ، كَهْرَسَلْبي(كهرباء وسلبي) ليقابل électro-négatif.

كما نجد استعمال "واك" مكان الأداة الفرنسية "que" في هذين المثالين : "يبدو وكأن" وهي ترجمة لـ : il parait que بدل "يبدو أن"، ونجد أيضاً هذه العبارة : "يقول وأن" أو "يقول بأن" وهذه كلها ترجمة للعبارة الفرنسية il dit que بدل "يقول إن"، كما نجد تراكيب أوربية منقولة الى اللغة العربية وقد أهمل مقابلها الحقيقي من ذلك مثلا : "طلب يد فلانة" demander la main de telle بدل "خطب فلانة" و "ذَرَّ الرماد في العيون" وهي مقابل jeter de la poudre aux yeux و "لا جديد تحت الشمس" وهي مقابل : il n'ya rien de nouveau sous le soleil

وقولنا : "هو الآخر" "هي الأخرى" والعرب تقول : هو أيضاً وهي أيضاً.

ثم الكاف الدخيلة الاستعمارية كما يسميها المرحوم الدكتور تقي الدين الهلالي(28) الذي أنكر عبارة "أنا كعربي أرفض الذل" أو "فلان يشتغل في الجامعة كمحاضر" وقال : إن هذه الكاف تقابلها في الألمانية (Als) وفي الانجليزية (As) وفي الفرنسي (comme) ، غير أن هذه الكاف يجوز استعمالها في الكلام العربي على أحد وجهين :

(28) تقويم اللسانين، مكتبة المعارف–الرباط، ص 10 وما بعدها.

1- أن تكون للتشبيه.

2- أو أن تكون زائدة وهو الأرجح، كقوله تعالى : "ليس كمثله شيء".

وقد أقرها على هذا الاعتبار مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1976 ومجمع اللغة العربية بالقاهرة من العام نفسه.

إن هذه التراكيب التي ألمعت الى بعضها وأغفلت عن قصد الكثير منها لضيق الوقت لا تخرق القواعد النحوية للغة العربية بقدر ما توسع دائرتها البلاغية والتصويرية التي تستحق أن يوقف عندها وتدرس بعناية وتخضع لعملية التعريب أو التقريب للصياغة اللاتقة أو القريبة من البناء والصرف العربي.

ألم يهجر كثير من الشعراء تشبيه المرأة الجميلة "بالبدر" منذ أن داسته أقدام رواد الفضاء الأمريكيين واكتشفوا مناخه البشعَ الذي لا يمت الى جمال المرأة بصلة(29).

هكذا يجب أن ينظر الى قضية التداخل اللغوي نظرة علمية ضمن حركية ثقافية عصرية شاعرة بتداخل الحضارات وبمساهماتها في تطور الانسان،

3- مستقبل اللغة العربية بوصفها لغة عالمية :

مما لا مراء فيه أن اللغة تلد وتنمو وتتناقص وتموت، ففي معاجمنا ألفاظ وتراكيب أصبحت مهملة وفي حكم المنسي لاختلاف أسلوب الحياة، وابتعادها عن واقعنا، وهذا الأصمعي يعيب قولهم "ساق إليها مَهرها" وقال إنما كان هذا عندما كان الزوج يُمهر زوجه إبلاً وماشية، وكقولهم أيضا : "بنى بزوجته" حين كان يبني لها خباء يستقل به عن أسرته. ولا أظن شاعراً معاصراً يستعمل ألفاظاً وأساليب من نوع "قفا نبك" أو "لمن طلل أبصرته فشجاني" أو تشبيه الأثافي بالأينق بعد أن تغيرت بتغير الحضارة وظهرت بدائل احتلت أماكنها.

فعلى مجمع اللغة العربية -كما يقترح الأستاذ أحمد حسن الزيات- أن يعبئ قواه لجمع ألفاظ الحضارة الموضوعة والمسموعة والمنقولة من الأقطار والبيآت العربية، فيكلف محرريه بالخروج كل يوم الى المتاجر والمصانع والشركات والمزارع فيسألون كل ذي سلعة وكلّ ذي صنعة وكل ذي آلة عن اسمها العام واسم كل جزء من أجزائها وكل نوع من أنواعها، ثم

(29) يراجع للتفصيل في هذا : العربية والحداثة، ص 181.

يدونون كل ذلك بأوصافه وصوره، ثم يُقَدَّم كل ذلك الى اللجان المختصة فتصنفه وتعرفه ثم تعرضه على مجلس المجمع لتعريبه وإلحاقه بمعاجم اللغة العربية. إذ لا وجود البتة لتلك المقولة الخاطئة الشائعة التي تقول : «إن هذه لغة متطورة علمية وهذه بدائية متخلفة لا تقوى على مسايرة المستجدات الحديثة، فإذا اعتمدنا المستوى التكنولوجي مقياساً للتطور الحضاري فمن الممكن القول إن هذه الأمة أو تلك بدائية من وجهة انتروبولوجية، غير أن هذا لا ينطبق على الجانب اللغوي "لأنه إذا كان المقصود ببدائية لغة إحدى الأمم هو خلوها من المفردات الخاصة بالمخترعات الحديثة مثلاً فإن ذلك يرجع الى عدم تعامل الأمة بتلك المخترعات وبالتالي عدم حاجتها الى ذلك النوع من المفردات، ولكن إذا استدعى تطور الأمة الاقتصادي استيراد تلك المخترعات فإن لغتها سرعان ما تقوم بسد الحاجة عن طريق استنباط المفردات اللازمة أو بما سبق ان تحدثنا عنه من التداخل اللغوي، ذلك أن اللغة قادرة دوماً على مواكبة النمو الاجتماعي لجمهور الناطقين بها وهذا ما يسمى بمبدإ "كمال اللغة"، كما أن عدد مفردات اللغة في حقل من الحقول لا يمكن أن يتخذ مقياساً للتطور أو الانحطاط، فإذا كانت لغة "الاكبو" في نيجريا مثلا تحتوي على عدد محدود جداً من الكلمات الخاصة بالثلج، وكانت لغة الاسكيمو ثرية بعشرات من الكلمات في هذا الميدان فإن ذلك لا يعني بأن الأولى متأخرة والثانية متطورة، بل اللغة قادرة على أن تزود أهلها بكل ما يحتاجونه من مفردات وتراكيب للتعبير عن كل ما يجري في بيئتهم من نشاط.

وختاماً فإذا ما لوحظ في العربية الحديثة قصور أو عجز فإن مرد ذلك الى أهلها الذين آثروا الجمود والخمول فقعد بهم عن مواكبة الحياة الاقتصادية والصناعية والعلمية فتراجعت بذلك لغتهم ضربة لازب، ولله در حافظ إذ يقول في تمجيدها :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم ان تحين وفاتي(30)

(30) حافظ ابراهيم : الديوان، 1 / 254.